انقطاع الوحي عن النبي ﷺ
أحواله وآثاره

د. عبد السلام بن صالح الجار اللّه

الأستاذ المشارك بقسم الدراسات القرآنية – كلية التربية

جامعة الملك سعود

ملخص البحث

كان للنبي ﷺ أحوال عديدة مع الوحي؛ منها ما يتعلق بكيفية نزوله عليه، ومنها ما يتعلق بوقت نزوله، ومنها ما يتعلق بمعارضة جبريل عليه السلام القرآن مع النبي ﷺ، ومن أحواله ﷺ الجديرة بالدراسة والتأمل ما يتعلق باحتباس الوحي وانقطاعه عن النزول إليه – أحياناً – مع حاجته إليه، وقد وقع ذلك في حوادث متكررة، وجاء التعبير عن انقطاع الوحي في المرويات بألفاظ متعددة؛ مثل: احتبس، ولبث، واستلبث، ومكث، وأبطأ، وفتر.

وقد مهدتُ لهذه الدراسة بتعريف الوحي وانقطاعه، وبيان طبيعة وحي الله تعالى إلى نبيه ﷺ وكيفية تلقيه له، وكيف كانت علاقته ﷺ بجبريل عليه السلام، ثم سلطت الضوء بشكل دقيق على أحوال انقطاع الوحي عن النبي ﷺ كانقطاعه لأمر يتعلق بالنبي ﷺ، أو لأمر يتعلق بالصحابة ونحو ذلك، وفي ثنايا ذلك حديث مستفيض عن فترة الوحي واختلاف العلماء حول وقتها ومدتها، وفي جانب آخر تتناول الدراسة أثر انقطاع الوحي من جوانب عديدة: أثره في النبي ﷺ، وأثره في المؤمنين، وأثره في المشركين والمنافقين.

وخلص الباحث إلى ضرورة إفادة الدعاة والمصلحين من أحوال انقطاع الوحي وآثاره المختلفة، وأكد على الحاجة إلى من يتبنى جمع مرويات انقطاع الوحي ودراستها وتمحيصها.

الكلمات المفتاحية: الوحي، فترة الوحي، نزول القرآن، بدء الوحي.

Cessation of Revelation upon Prophet Muhammad (Peace be Upon Him): Issues and Influences

Dr. Abdulsalam Ibn Saleh Al-Jar Allah
Associate Professor, Department of Quranic Studies, College of Education, King Saud University.

Abstract

Prophet Muhammad (PBUH) had some revelation issues with respect to how and when it came down, as well as mutual recitation of the Quran. Some of these issues worth studying are concerned with the cessation of revelation –sometimes- when he needed it. This has occurred often in some incidents. The expression of "cessation of revelation" has been mentioned in the relations in various terms such as interruption, intermission, suspension, discontinuance and stagnance.

This study begins with defining revelation and its cessation, the nature of Allah's revelation and how it came down to His prophet, and the latter's relationship with Gabriel. It particularly highlights issues of cessation of revelation whose cause could be a matter related to the prophet himself or his companions. After that, it tackles in details the revelation period and the scholars' quarrel over its time and duration. Furthermore, the study deals with the influence of cessation of revelation with regard to many aspects: its influence on the Prophet, its influence on believers, and its influence on hypocrites.

The researcher concluded with the need to take advantage of different issues and influences of cessation of revelation by callers and reformers, as well as the need to collect, study, and examine the relations of cessation of revelation.

Keywords: Revelation, Revelation Period, Descent of the Quran, Beginning of Revelation.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن من أسمى صور تكريم الله تعالى لبني آدم ما اختصهم به من الوحي المنزل على الأنبياء والرسل عليهم السلام، فالوحي أعظم ما سعدت به الأمم واستقامت به أمورها وصلحت به أحوالها، وما أصاب أمةً من خير ونعمة فبسبب اتباعها الوحي وتعاليمه السامية، وكل شر وبلاء أصاب أمة من الأمم فببعدها عن الوحي واعراضها عنه، فحاجة الناس إلى الوحي فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة، فهو الروح الذي تحيا به أرواحهم وقلوبهم ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [1]، ولم يبعث الله تعالى نبياً ولم يرسل رسولاً إلا يوحي إليه، فلا نبوة بلا وحي من لدن نوح إلى نبينا محمد عليهم الصلاة والسلام ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [2].

وقد كان للنبي ﷺ أحوال عديدة مع الوحي؛ منها ما يتعلق بكيفية نزوله عليه، ومنها ما يتعلق بوقت نزوله، ومنها ما يتعلق بمعارضة جبريل عليه السلام القرآن مع النبي ﷺ ونحوها.

ومن أحواله ﷺ مع الوحي الجديرة بالدراسة والتأمل واستخلاص العبر والفوائد ما يتعلق باحتباس الوحي وانقطاعه عن النزول إليه - أحياناً - مع حاجته إليه، وقد وقع ذلك في حوادث متكررة، وصحت بها

(١) سورة الشورى من الآية (٥٢).

(٢) سورة النساء من الآية (١٦٣).

الأحاديث والآثار، وقد جاء التعبير عن انقطاع الوحي في المرويات بألفاظ متعددة؛ مثل: احتبس، ولبث، واستلبث، ومكث، وأبطأ، وفتر، وفتـــرة الوحي.

وقد رغبت في دراسة هذا الموضوع؛ إذ لم أجد – حسب علمي – من أفرده ببحث مستقل.

ومع العلاقة القوية بين هذه القضية وعلوم القرآن إلا أن كتب علوم القرآن لم تفرد لها حديثاً خاصاً مع إفرادها الوحي في موضوعات خاصة، وقد تذكر انقطاع الوحي – عرضاً – عند الحديث عن أول ما نزل على النبي ﷺ.

وممن تكلم كثيراً عن انقطاع الوحي شراح الحديث عنـــد شـــرح حديث عائشة في بدء الوحي، وحديث جابر في فترة الوحي وغيرهمـــا، وتكلم عنه المدونون في السيرة النبوية عند كلامهم عـــن بـــدء الـــوحي بالنبي ﷺ.

وتناوله بصورة أقل المفسرون عند سبب نزول ســـورة الضـــحى، وسنورد طرفاً من هذه المصادر في ثنايا البحث إن شاء الله تعالى.

هدف البحث:

١- بيان أحوال انقطاع الوحي عن النبي ﷺ.

٢- بيان أثر انقطاع الوحي في النبي ﷺ وأصحابه من جهة، وأثره في المنافقين والمشركين من جهة أخرى.

٣- أن يطلع الدعاة والمصلحون على أحوال النبي ﷺ وأصحابه مع انقطاع الوحي وموقفهم منه وأثره فيهم، ويستخلصوا العبر والـــدروس، ويفيدوا من ذلك في حياتهم العلمية والعملية.

منهج البحث:

سوف أتبع المنهج الاستقرائي الاستنتاجي من خلال استقراء المرويات المتعلقة بانقطاع الوحي عن النبي ﷺ، وبيان أحواله وصوره، ثم استنتاج الآثار المترتبة على انقطاع الوحي سواءً على النبي ﷺ، أو على الصحابة، أو على المشركين والمنافقين.

خطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة:

فالتمهيد في تعريف الوحي وانقطاعه.

والمبحث الأول: أحوال انقطاع الوحي عن النبي ﷺ، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: فترة الوحي.

المطلب الثاني: انقطاع الوحي لأمر يتعلق بالنبي ﷺ.

المطلب الثالث: انقطاع الوحي لأمر يتعلق بالصحابة.

المطلب الرابع: تأخر نزول الوحي على النبي ﷺ في بعض الوقائع.

والمبحث الثاني: آثار انقطاع الوحي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أثر انقطاع الوحي في النبي ﷺ.

المطلب الثاني: أثر انقطاع الوحي في المؤمنين.

المطلب الثالث: أثر انقطاع الوحي في المشركين والمنافقين.

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

والله ولي التوفيق

التمهيد

أولاً: تعريف الوحي وانقطاعه.

الوحي في اللغة: ما جمع أموراً ثلاثة: الإعلام، والسرعة، والخفاء، وشواهد العربية على ذلك[١].

وشواهد مادة الوحي في القرآن الكريم تفيد هذه المعاني أيضاً؛ مثل: الإلهام الفطري للإنسان في قول الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾[٢]، أو الإلهام الغريزي للحيوان في قوله: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾[٣]، ومثل وحي الله تعالى إلى ملائكته ونحو ذلك، وسمى الله الإعلام بالإشارة دون كلام وحياً في قوله تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾[٤]، ولم يكن زكريا عليه السلام حيئنذٍ يتكلم بدليل قول الله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾[٥].

وهذه المعاني الثلاثة تجتمع في المعنى الاصطلاحي للوحي:

أما الإعلام فهو من لوازم الوحي، وأما السرعة فقد كان الوحي يأتي النبي ﷺ بسرعة، فعن الزهري أن مشركي قريش في حادثة الإسراء ذهبوا إلى أبي بكر رضي الله عنه، وقالوا: إن صاحبك يقول: إنه قد ذهب إلى بيت المقدس

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (ص١٠٤٦)، وأساس البلاغة (ص٦٦٨)، ومفردات ألفاظ القرآن (ص٨٥٨)، والقاموس المحيط (١٧٢٨).

(٢) سورة القصص آية (٧).

(٣) سورة النحل آية (٦٨).

(٤) سورة مريم آية (١١).

(٥) سورة مريم آية (١٠).

في ليلة ورجع، قال: أو قال ذلك؟، قالوا: نعم، قال: فأشهد إن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: تصدقه في أن ذهب إلى بيت المقدس ورجـــع؟!، قال: نعم أصدقه بما هو أبعد من ذلك في خبر السماء غدوةً وعشيةً، قال: فسمي الصديق لذلك(١).

وكان النبي ﷺ يُسأل عن الأمر فيأتيه الوحي من السماء وهـــو في مجلسه(٢).

وأما الخفاء؛ فكان الوحي يأتي النبي ﷺ وهو بين أصحابه ويعرفون ذلك من حاله، ولكن لا يسمعون أو يعون ما يخاطبه به الملك.

وعليه فالوحي في اصطلاح العلماء: إعلام الله تعالى من يصطفيه من عباده بواسطة جبريل عليه السلام (٣).

ويطلق الوحي ويراد به الموحى به إلى الأنبياء عليهم السلام(٤).

وأما انقطاع الوحي فيراد به: تأخر الوحي عن النبي ﷺ مدة مـــن الزمان(٥).

وهو على نوعين:

الأول: انقطاع مطلق، فالوحي لا يتترل على النبي ﷺ مطلقاً مـــدة من الزمان.

الثاني: انقطاع مقيد، والوحي هنا لا يتترل لبيان حادثة معينة مـــع

---

(١) تفسير عبد الرزاق الصنعاني (٣٢٤/١)، وفيه انقطاع، وقد وصله الحاكم في المســتدرك (٧٦/٣) عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه.

(٢) انظر أمثلة لذلك فيما يأتي (ص٢١٠).

(٣) انظر: مناهل العرفان (٥٦/١)، ومباحث في علوم القرآن للقطان (ص٢٩).

(٤) مفردات ألفاظ القرآن للراغب (ص٨٥٨)، وفتح الباري لابن حجر (٩/١).

(٥) انظر فتح الباري (٢٧/١).

نزوله في غيرها.

ويأتي التعبير عن انقطاع الوحي في المرويات بألفاظ مختلفة، مثل: احتبس، ولبث، ومكث، وأبطأ، ونحوها، واشتهر إطلاق **فترة الوحي** على انقطاع الوحي الذي أعقب أول البعثة ونزول صدر سورة العلق.

وقد ينقطع الوحي وجبريلُ عليه السلام عن إتيان النبي ﷺ، وقد ينقطع الوحي دون جبريل، ويختلف ذلك باختلاف أحوال انقطاع الوحي، وسيأتي بيان هذه الأمور في مواطنها إن شاء الله تعالى.

ثانياً: حال النبي ﷺ مع الوحي:

من المهم في هذا البحث معرفة طبيعة وحي الله إلى نبيه ﷺ وكيفية تلقيه له، فقد كان للوحي مع النبي ﷺ خصائص؛ منها:

أنه كان يأتي النبي ﷺ بغير طلب منه ولا اختيار، وقد يأتيه بصورة مفاجئة، و لم يكن له وقت محدد: لا يومي ولا أسبوعي، وإنما يأتي بالليل والنهار، والسفر والحضر، ومن مباحث المكي والمدني: الليلي والنهاري، والسفري والحضري، والصيفي والشتوي ....

وكان الوحي يأتي النبي ﷺ وهو على حالات متعددة: قائماً وقاعداً ومضطجعاً، وقد قال ﷺ لأم سلمة: " **يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها** "[(١)].

وعن عائشة في نزول آية الحجاب وفيه أن سودة خرجت لحاجتها، فرآها عمر، فقال: يا سودة، أما والله ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين، قالت: فانكفأتْ راجعة، ورسول الله ﷺ في بيتي، وإنه ليتعشى

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب فضل عائشة رضي الله عنها (٤/٢٢١) برقم (٣٧٧٥).

وفي يده عرْقٌ، فدخلتْ، فقالتْ: يا رسـول الله، إني خرجـتُ لـبعض حاجتي، فقال لي عمر كذا وكذا، قالت: فأوحى الله إليه ثم رفع عنه، وإن العرْقَ في يده ما وضعه، فقـال: «**إنـه قـد أذن لكـن أن تخـرجن لحاجتكن**»[1].

ومما يدل على أن النبي ﷺ لم يكن له اختيار في قبول الوحي أو رده أنه كانت تعتريه حال تلقي الوحي بعض التغيرات التي لا اختيار له فيهـا بسبب ثقل الوحي، مثل: تغير الوجه واحمراره وتربده وتصبب العرق منه ونحو ذلك، وقد قال عمر رضي الله عنه ليعلى بن أمية: أيسرك أن تنظر إلى رسول الله ﷺ وقد أنزل عليه الوحي؟ فرفع عمر طرف الثوب عن وجهه وهـو يُوحى إليه، فإذا هو محمر الوجه وهو يغط كغطيط البكر[2].

وفي حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: كان نبي الله ﷺ إذا أُنـزل عليه كرب لذلك وتربد له وجهه[3].

وقال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة وكـان يحرك شفتيه[4].

وأخبرت عائشة أن الوحي يترل عليه في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً[5].

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه حين نزلت: لا يسـتوي القاعـدون مـن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ (٦/٢٦) برقم (٤٧٩٥).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج (٢/٨٣٦) برقم (١١٨٠).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الحدود (٣/١٣١٦) برقم (١٦٩٠).

(٤) صحيح البخاري باب كيف كان بدء الوحي (١/٤) برقم (٥).

(٥) صحيح البخاري، باب كيف كان بدء الوحي (١/٢) برقم (٢).

المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله، جاء ابن أم مكتوم إلى النبي وهو يملـها علي، فقال: يا رسول الله؛ لو أستطيع الجهاد لجاهدت -وكـان رجـلاً أعمى -فأنزل الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ، وفخذه على فخـذي، فثقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي، ثم سري عنه، فأنزل الله عـز وجل: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ [1].

وأما المتزل بالوحي وهو جبريل عليه السلام فقد كان للـنبي ﷺ علاقـة خاصة به، مبناها على المحبة والتقدير والاحترام، ويتجلى ذلك من خلال الآتي:

١ -كان النبي ﷺ يتحرى لقاء جبريل ويتشوف له، وقال له مرةً: " ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟! "، فترل قول الله تعالى: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾[2].

ولم يكن هذا التشوف والترقب من الـنبي ﷺ لشـخص جبريـل فحسب، وإنما كان فرحاً وانتظاراً لما يلقيه جبريل من الوحي الذي هـو بمثابة الروح للنبي ﷺ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾[3]، وهذا ما فهمه الصحابة رضي الله عنهم، فقد قال أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسـول الله ﷺ لعمر رضي الله عنه: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها، فلما انتهيا إليها بكت، فقالا لها: ما يبكيك ؟!؛ ما عند الله خير لرسـوله

---

(١) سورة النساء آية (٩٥)، والحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب لا يسـتوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله (١٨٢/٥) برقم (٤٥٩٢).

(٢) سورة مريم آية (٦٤)، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ﴾ (٢٣٧/٥) برقم (٤٧٣١).

(٣) سورة الشورى من الآية (٥٢).

ﷺ، فقالت: ما أبكي ألا أكون أعلم أن ما عند الله خـــير لرســـوله ﷺ، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء، فهيجتهما علـــى البكـــاء فجعلا يبكيان معها[1].

ومن تحري النبي ﷺ للقاء جبريل وتطلبه الوحي وتلهفه له ما وقع له ﷺ في فترة الوحي حين عرف جلية الأمر فخاف أن يكون حُرم النبـــوة، فكان يتلهف لنزول الوحي.

٢ – وكان النبي ﷺ إذا التقى جبريل يُرى أثر ذلـــك في نشـــاطه للعبادة ومسارعته للخير، ويصف ابن عباس حال النبي ﷺ عنـــد لقـــاء جبريل، فيقول: كان النبي ﷺ أجود الناس، وكان أجود مـــا يكـــون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارســـه القرآن، فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة[2].

فبالإضافة إلى فضيلة الشهر والصيام وأثرهما في جود النبي ﷺ بالخير، فإن جوده يتضاعف ويزداد لأمرين مهمين:

الأول: أثر سماع الوحي مباشرة من جبريل عليه السلام وهذا آكد الأمرين.

الثاني: مخالطة جبريل ومدارسته القرآن[3]، وقـــد نبـــه النـــووي (ت٦٧٦) إلى هذا، وأن ملاقاة الصالحين لها أثر في زيادة الجود والخير[4].

٣ – كان النبي ﷺ يمتنع من أكل الثوم والبصل، وعلل ذلك بأنـــه يناجي جبريل عليه السلام ففي حديث جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: " **من أكل ثوماً، أو بصلاً فليعتزلنا، أو ليعتزل مسجدنا وليقعد في بيته** "، وإنه

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة (١٩٠٧/٤) برقم (٢٤٥٤).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب كيف كان بدء الوحي (٤/١) برقم (٦).
(٣) إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري للقسطلاني (٦٠/١).
(٤) شرحه لصحيح مسلم (٦٩/١٥).

أتي بقدر فيه خضرات من بقول، فوجد لها ريحاً، فسأل عنها، فأخبر بما فيها من البقول، فقال: قربوها، فقربوها إلى بعض أصحابه كان معه، فلما رآه كره أكلها؛ قال: **كل، فإني أناجي من لا تناجي** "[١].

وفي بعض الأحاديث أن النبي ﷺ قال لأصحابه: " **كلوه، فإني لست كأحدكم، إني أخاف أن أوذى صاحبي** "[٢].

ومع كل ما سبق فمحبة النبي ﷺ للوحي وتشوفه لنزوله، ومحبته لجبريل المتنزل بالوحي ورعايته لحقه لم يكن لها أثر في نزول الوحي وانقطاعه، فمجيء الوحي وانقطاعه من عند الله وحده.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأذان، باب ما جاء في الثوم الني والبصل والكراث (٢٠٧/١) برقم (٨٥٥).

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب الأطعمة (١٠٧/٦) برقم (١٨١١)، وابن ماجه في كتاب الأطعمة (١١١٦/٢) برقم (٣٣٦٤)، وأحمد في المسند (٤٦٢/٦) برقم (٢٨١٧٤) كلهم من حديث أم أيوب رضي الله عنها.

المبحث الأول: أحوال انقطاع الوحي عن النبي ﷺ

كان القرآن الكريم يترل على النبي ﷺ منجماً على الأيام والليالي و لم يترل جملة واحدة؛ دل لذلك قول الله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾[1] ، ومن قرأ **فَرَّقْنَاهُ** بتشديد الراء[2]، فمعناه: " أنزلناه شيئاً بعد شيء، لا جملة واحدة، ويتناسق هذا المعنى مع قوله: ﴿فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾، وهذا كان بما أراد الله من نزوله بأسباب تقع في الأرض من أقوال وأفعال في أزمان محدودة معينة "[3].

ونزول القرآن مفرقاً من خصائصه التي اُختص بها بين الكتب السابقة، وهذا من الأمور المشتهرة بين العلماء، وقد دل لذلك أدلة عديدة؛ من أصرحها آية الفرقان: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾[4]، ووجه دلالة الآية على خصوصية القرآن في إنزاله مفرقاً أن الله تعالى لم يكذب الكفار فيما ادعوا من نزول الكتب السابقة جملة، بل أجابهم ببيان الحكمة في نزول القرآن مفرقاً، ولو كان نزول الكتب السابقة مفرقاً كالقرآن لرد عليهم

---

(١) سورة الإسراء آية (١٠٦).

(٢) قرأ بها ابن عباس وقتادة وابن محيصن وغيرهم، انظر: جامع البيان (١٥/١١٣)، والمحرر الوجيز (٥/٥٥٥)، واتحاف فضلاء البشر (٢/٢٠٦).

(٣) المحرر الوجيز (٥/٥٥٥)، وقد ذكر ابن عاشور أن معنى فَرَقْنَٰهُ [بالتخفيف] جعلناه فَرْقاً، أي أنزلناه منجماً مفرقاً غير مجتمع صبرة واحدة، يقال: فرق الأشياء إذا باعد بينها، وفرق الصبرة إذا جزأها، ويؤكد هذا المعنى مجيء فعل: وَنَزَّلْنَٰهُ المضاعف وعطفه على فَرَقْنَٰهُ، ثم تأكيده بالمفعول المطلق إشارة إلى تفريق إنزاله، التحرير والتنوير (١٥/٢٣١)، وبهذا تجتمع القراءتان على معنى نزول القرآن مفرقاً منجماً، والله أعلم.

(٤) سورة الفرقان آية (٣٢).

بالتكذيب، ولأخبر أن التنجيم هو سنة الله فيما أنزل على الأنبياء من قبل، كما رد عليهم بقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾(١) ؛ حين طعنوا على الرسول ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾(٢).

ونزول القرآن مفرقاً إن صحت تسميته انقطاعاً ليس من مسائل البحث هنا، لأنه أمر اعتيادي في الوحي ونزول القرآن الكريم، وإنما الكلام في تأخر نزول الوحي لسببٍ ما مع تشوف النبي ﷺ وأصحابه وترقبهم لنزوله، وهو ما سنتحدث عنه في المطالب الآتية:

(١) سورة الفرقان من الآية (٢٠).

(٢) سورة الفرقان من الآية (٧)، وانظر مناهل العرفان (٤٦/١).

المطلب الأول: فترة الوحي

الفترة في اللغة: الانقطاع والسكون[1]، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[2] ، أي انقطاع من الرسل، وسميت فترة لأن الرسل كانت تترى بعد موسى عليه السلام من غير انقطاع إلى زمن عيسى عليه السلام، ولم يكن بعد عيسى سوى رسولنا ﷺ[3].

واشتهر بين العلماء إطلاق فترة الوحي على الفترة التي وقعت للنبي ﷺ بعد أول لقاء بجبريل عليه السلام وبعد نزول صدر سورة العلق، وقد حدث النبي ﷺ بنفسه عن هذه الفترة، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: " **ثم فتر عني الوحي فترة، فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء، فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالساً على كرسي بين السماء والأرض، فجئثتُ منه فرقاً[4]، فرجعت، فقلت: زملوني زملوني، فدثروني، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ① قُمۡ فَأَنذِرۡ ② وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ③ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ④ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾[5]، ثم تتابع الوحي**"[6].

---

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص٦٢٢)، ولسان العرب (٥/٣٣٤٠)، والقاموس المحيط (ص٥٨٣).

(٢) سورة المائدة آية (١٩).

(٣) معالم التنزيل للبغوي (٣/٣٤).

(٤) فجئثت بجيم مضمومة ثم همزة مكسورة ثم ثاء مثلثة ساكنة ثم تاء الضمير، وجاءت بلفظ: فجثثت بعد الجيم ثاءان مثلثتان، وهما بمعنى واحد؛ أي: فزعت ورعبت، شرح النووي على مسلم (٢/٢٠٦-٢٠٧).

(٥) سورة المدثر الآيات (١-٥).

(٦) أخرجه البخاري في باب كيف كان بدء الوحي (١/٤) برقم (٤)، ومسلم في كتاب الإيمان (١/١٤٣) برقم (٢٥٥)، واللفظ له.

وفي حديث عائشة عن بدء الوحي: وفتر الوحي فترة حتى حـــزن النبي ﷺ -فيما بلغنا -حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي منه نفسه تبدى له جبريـــل، فقال: يا محمد؛ إنك رسول الله حقاً، فيسكن لذلك جأشه وتقر نفســـه، فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل، فقال له مثل ذلك(١).

مدة هذه الفترة.

اختلف في مدة هذه الفترة على أقوال:

القول الأول: أنها كانت ثلاث سنين، ونُسب هذا القول للشـــعبي (ت١٠٥)، فعنه قال: أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشيء، و لم يترل القرآن، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل عليه السلام فترل القـــرآن علـــى لســـانه عشرين: عشراً بمكة، وعشراً بالمدينة، فمات وهو ابن ثلاث وستين(٢).

وعزا ابن حجر هذا القول لابن إسحاق (ت١٥١)(٣).

(١) صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيـــا الصالحة (٦٧/٨) برقم (٦٩٨٢)، وقد ذكر ابن حجر في فتح البـــاري (٣٥٩/١٢) أن قوله: فترة حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا .... زيادة في رواية معمر عن الزهري، وقد رواه عقيل ويونس عن الزهري بدونها، والقائل: " فيما بلغنا " الزهري، وقد أخرج البخاري الحديث في بدء الوحي (٣/١) من رواية الليث عن عقيل عن الزهري بدون هذه الزيادة، وكذا أخرجه أحمد في المسند (٢٢٣/٦)، ومسلم في صـــحيحه (١٤٢/١-١٤٣) مـــن طريق جمع من أصحاب الليث عن الليث بدونها.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (١٢٧/١)، ودلائل النبوة للبيهقي (١٣٢/٢).

(٣) فتح الباري (٢٧/١)، والذي في المطبوع من سيرة ابن إسحاق (١٧٩/١)، والسيرة النبوية لابن هشام (٢٤١/١) إطلاق الفترة دون تحديدٍ بمدة، وسيأتي كلام الصالحي حول هذا العزو.

القول الثاني: أن الفترة كانت سنتين ونصفاً، نسبه ابن كثير (ت٧٧٤) إلى بعضهم[١]، ومال إليه السهيلي (ت٥٨١) وقال: " جاء في بعض الأحاديث المسندة أنها كانت سنتين ونصف سنة "[٢]، وهو يشير إلى رواية الشعبي السابقة كما أفاده ابن حجر (ت٨٥٢)[٣]، لكنه أسقط من الثلاث سنين مدة الرؤيا وهي ستة أشهر، وأراد السهيلي الجمع بين قول أنس: إن النبي ﷺ مكث بمكة عشر سنين، وقول ابن عباس: إنه مكث ثلاث عشرة سنة، وقال: " كان قد ابتدئ بالرؤيا الصادقة ستة أشهر، **فمن عدّ مدة الفترة، وأضاف إليها الأشهر الستة** كانت كما قال ابن عباس، ومن عدها من حين حمي الوحي وتتابع -كما في حديث جابر- كانت عشر سنين"[٤] .

غير أن هذين القولين في مدة فترة الوحي ضعيفان لما يأتي:

أ – أن رواية الشعبي التي اعتمد عليها القولان مرسلة، ولذا أكد ابن حجر بأن ما اعتمد عليه السهيلي من الاحتجاج بمرسل الشعبي لا يثبت[٥].

ب- أن ما روي عن الشعبي معارض بما روي عن ابن عباس أن الفترة كانت أياماً[٦] كما سيأتي.

ج - **الأظهر** – والله أعلم – أن المراد بهذين القولين الفترة التي

(١) البداية والنهاية (٤٢/٤).
(٢) الروض الأنف (٤٣٣/٢).
(٣) فتح الباري (٢٧/١، ٣٦٠/١٢).
(٤) الروض الأنف (٤٣٣/٢-٤٣٤).
(٥) فتح الباري (٢٧/١).
(٦) المصدر السابق.

سبقت نزول الوحي ولقاء جبريل بالنبي ﷺ في غار حراء، وما نتكلم عنه الفترة التي تلت نزول الوحي على النبي ﷺ في الغار، والذين ذكروا هذين القولين ذكروهما هنا.

فما ذكره الشعبي من بدايات الوحي وإرهاصاته حيث قُرن إسرافيل فيها بالنبي ﷺ قبل تنزل جبريل بشيء من القرآن، وقد مر بالنبي ﷺ إرهاصات عديدة قبل نزول الوحي عليه هذه إحداها، ومنها ما ذكرته عائشة رضي الله عنها في حديث بدء الوحي، وأن أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة، وقد ذكر بعض العلماء أنها استمرت ستة أشهر استنباطاً من حديث: "**الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة**"[1].

ومنها تسليم الحجر والشجر عليه قبل البعثة، وقد قال ﷺ: " **إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن**"[2].

وكانت هذه الإرهاصات لتأنيس النبي ﷺ وتهيئته لتقبل الوحي ونزول القرآن وليكون مستعداً لذلك.

د – أن رواية الشعبي – إن صححناها – ليس فيها التصريح بذكر فترة الوحي غاية ما فيها اقتران إسرافيل بالنبي ﷺ، ثم جبريل، بل إن الشعبي صرح بأنه لم ينزل على النبي ﷺ في هذه المدة شيء من القرآن مما يدل على أنها قبل نزول شيء من القرآن، وهذه المدة إن سميت فترة – تجوزاً– فلهدوؤها وسكونها إذا قورنت بنزول الوحي والقول الثقيل وحميّ

(١) صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب: الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة (٦٨/٨) برقم (٦٩٨٩)، وانظر في تحديد المدة ونقدها فتح الباري (٣٦٤/١٢).

(٢) أخرجه مسلم من حديث جابر بن سمرة في كتاب الفضائل (١٧٨٢/٤) برقم (٢٢٧٧).

الوحي وتتابعه، لا أن هناك وحياً نزل ثم فتر، وهو ما نتحدث عنه.

قال الصالحي (ت٩٤٢): " وقع في بعض النسخ القديمة من الفتح وتبعه الشيخ[١] وشيخنا القسطلاني في شرحيهما أن الإمام أحمد روى في تاريخه عن الشعبي أن فترة الوحي كانت ثلاث سنين، وأن ابن إسحاق جزم بذلك، قلت [أي الصالحي]: وهذا وهم بلا شك، وعزو ذلك لجزم ابن إسحاق أشد، وكأنَّ الحافظ قلّد في ذلك و لم يراجع التاريخ المذكور، فإن الموجود فيه وفي الطبقات لابن سعد ودلائل البيهقي عن داود بن أبي هند، عن الشعبي قال: أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشيء، و لم يترل عليه القرآن على لسان، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل فترل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة "[٢].

هـ – أن حديث عائشة رضي الله عنها في بدء الوحي صريح في أن فترة الوحي كانت بعد نزول صدر سورة العلق في غار حراء، وقالت في آخره: وفتر الوحي، ويشهد له حديث جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي، وفيه: فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالساً على كرسي بين السماء والأرض، وهو صريح الدلالة في أن النبي ﷺ قد سبقت له رؤية الملك، ولذا عرفه وأخبر أنه الذي جاءه في غار حراء المرة الأولى[٣].

وهذا ظاهر ولا يشكل عليه سوى ما علق به ابن كثير على القول الثاني بقوله: " والظاهر – والله أعلم – أنها المدة التي اقترن معه ميكائيل

---

(١) يريد به جلال الدين السيوطي كما بينه في مقدمة كتابه: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٥/١).

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٣٦٤/٢).

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٥٨/١٦-٢٥٩).

كما قال الشعبي وغيره، ولا ينفي هذا تقدم إيحاء جبريل إليه أولاً: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ ، ثم حصلت الفترة التي اقترن معه ميكائيل، ثم اقترن به جبريل بعد نزول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ ، ثم حمي الوحي بعد هذا وتتابع "[١].

وفيما قاله ابن كثير نظر فإن المدة التي اقترن فيها إسرافيل كانت قبل الوحي ونزول شيء من القرآن، وكانت من مبادئ النبوة، كما كانت الرؤيا الصالحة، وفي حديث عائشة: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة، وفي هذه المدة وكل به إسرافيل، وكان ﷺ يخلو في غار حراء، وكان إسرافيل يلقي إليه الكلمة بسرعة ولا يقيم معه تدريجاً له وتمريناً إلى أن جاءه جبريل فعلمه بعدما غطه ثلاث مرات، وهذا ما ذكره ابن كثير[٢].

القول الثالث: أن فترة الوحي كانت شهراً، واستدل له بإحدى روايات حديث جابر، وفيها: جاورت بحراء شهراً[٣]، قال القاري (ت١٠١٤): " فيه إشعار بأن أيام الفترة كانت شهراً"[٤].

القول الرابع: أنها كانت أياماً ، وقد جاءت مطلقة عن ابن عباس قال: إن رسول اللَّه ﷺ لما نزل عليه الوحي بحراء **مكث أياماً لا يرى جبريل**، فحزن لذلك حزناً شديداً حتى كان يغدو إلى ثَبير مرة، وإلى حراء مرة يريد أن يلقي نفسه منه، فبينا رسول الله ﷺ كذلك عامداً لبعض تلك

(١) البداية والنهاية (٤٢/٤).
(٢) البداية والنهاية (١٠/٤).
(٣) أخرجها مسلم في كتاب الإيمان (١٤٤/١) برقم (٢٥٧).
(٤) مرقاة المفاتيح (٥٢٧/١٠).

الجبال إلى أن سمع صوتاً من السماء، فوقف رسول الله ﷺ فزعاً للصوت، ثم رفع رأسه، فإذا جبريل على كرسي بين السماء والأرض متربعاً عليه؛ يقول : يا محمد، أنت رسول الله حقاً، وأنا جبريل، قال: فانصرف رسول الله ﷺ وقد أقر الله عينه، وربط جأشه، ثم تتابع الوحي بعدُ وحمي[١].

ومنهم من عينها فقال بعضهم: أربعون يوماً روي عن ابن عباس، وقال آخرون: خمس عشر ليلة[٢].

ومال إلى أنها كانت أياماً ابن حجر وغيره[٣].

وإذا استبعدنا القول الأول والثاني بناءً على أن المراد بهما ما قبل نزول الوحي، وأن المدة المذكورة من باب تهيئة النبي ﷺ لنزول القرآن، فإن القول الثالث والرابع يمكن التقاؤهما بأن فترة الوحي بعد أول نزول للقرآن كانت أياماً، ويبقى الخلاف في تحديد تلك الأيام بدقة، والأظهر أنها لم تدم طويلاً لأنه الأليق بحال النبي ﷺ ومنزلته عند ربه والله أعلم[٤].

أول ما نزل بعد فترة الوحي:

يرى ابن إسحاق أن الذي نزل بعد فترة الوحي سورة الضحى، قال في مغازيه وهو يتحدث عن بدء الوحي: ثم فتر الوحي عن رسول الله ﷺ فترة من ذلك حتى شقّ ذلك عليه، فأحزنه، فجاءه جبريل بسورة الضحى[٥].

---

(١) رواها ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/١٣١)، وسيأتي الكلام عن هذه الرواية قريباً.
(٢) انظر الأقوال في: سبل الهدى والرشاد (٢/٣٦٣).
(٣) انظر: فتح الباري (٨/٧١٠)، وسبل الهدى والرشاد (٢/٣٦٣)، والتحرير والتنوير (٣٠/٣٩٦)، والسيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة لأبي شهبة (١/٢٦٤).
(٤) سبل الهدى والرشاد (٢/٣٦٣).
(٥) سيرة ابن هشام (١/٢٤١).

والصحيح أن أول ما نزل صدر سورة المدثر كما هـو صـريح في حديث جابر، وهو ما أكده النووي عند شرح الحديث مـن روايـة أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن جابر قال رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي، فعقب بقوله: " وأما ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ فكان نزولها بعد فترة الوحي كما صرح به في رواية الزهري عن أبي سلمة عن جابر، والدلالة صريحة فيه في مواضع منها: قوله: وهو يحدث عن فترة الوحي إلى أن قال: فأنزل الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾، ومنها قوله ﷺ : " فإذا الملك الذي جـاءني بحراء "، ثم قال: فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾، ومنها قوله : " ثم تتابع الوحي " يعني بعد فترته، فالصواب أن أول ما نزل ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ ، وأن أول ما نزل بعد فترة الوحي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾"[1].

وأما سورة الضحى فكان نزولها بعد فترة أخرى غير هذه التي كانت في بدء الوحي، فعن جندب بن عبدالله البجلي ﷺ قال: اشتكى رسـول الله ﷺ فلم يقم ليلتين، أو ثلاثاً، فجاءت امرأة، فقالت: يـا محمـد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾[2].

وقد استبعد ابن كثير قول ابن إسحاق ورده بما جاء في الصحيحين أن أول القرن نزولاً بعد فترة الوحي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾[3].

قال ابن حجر: " والحق أن الفترة المذكورة في سبب نزول والضحى

(١) شرحه على مسلم (٢/٢٠٧-٢٠٨)، وانظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦/٢٥٨).

(٢) أخرجه البخاري، كتـاب التفسـير، بـاب ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ (٦/٨٦) بـرقم (٤٩٥٠).

(٣) البداية والنهاية (٤/٤١).

غير الفترة المذكورة في ابتداء الوحي، فإن تلك دامت أياماً، وهذه لم تكن إلا ليلتين أو ثلاثاً فاختلطتا على بعض الرواة "[١].

وعليه تكون سورة الضحى من أوائل ما نزل بعد فترة الوحي وليست أول ما نزل، وتفارق الفترة الأولى في مدتها.

وقد أكد ابن عاشور (ت١٣٩٣) ما ذكره ابن حجر من أن نزول سورة الضحى كان بعد فترة ثانية للوحي غير الفترة الأولى التي نزلت بعدها سورة المدثر، لكنه يرى أنها بقيت نحواً من اثني عشر يوماً، وكان سببها الرفق بالنبي ﷺ كي تستجم نفسه وتعتاد قوته تحمل أعباء الوحي[٢].

والمذكور في حديث جندب ﷺ أن النبي ﷺ اشتكى، فلعل الوحي انقطع في هذه الفترة بسبب شكوى النبي ﷺ رفقاً به وكي تستجم نفسه، فيكون ذلك موافقاً لما ذكره ابن عاشور، والله أعلم.

ومما تقدم نستنتج أن فترة الوحي في أوائل البعثة وقعت مرتين:

الأولى بعد أول لقاء بين النبي ﷺ وجبريل وبعد نزول سورة العلق، ونزل بعد هذه الفترة سورة المدثر.

والثانية بعد مضي وقت من البعثة ونزول سور من القرآن، ونزل بعدها سورة الضحى.

المدة بين الفترتين:

قدر ابن عاشور في التحرير والتنوير المدة بين الفترتين بنحو عشر

---

(١) فتح الباري (٨/٧١٠).

(٢) انظر التحرير والتنوير (٣٠/٣٩٦).

سور بناءً على أن ترتيب سورة الضحى في النزول الحادية عشرة[١].

ويبدو – والله أعلم – أن الفترة الثانية وقعت بعد الجهر بالدعوة، فقد أقام النبي ﷺ بعد أمره بالدعوة في سورة المدثر ثلاث سنين يدعو إلى الله سبحانه مستخفياً، ثم نزل عليه ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[٢]، ومما يدل لذلك أن أمر النبي ﷺ حين الفترة الثانية قد ذاع وناصبه المشركون العداء، فقد قالت له امرأة من المشركين، وورد في بعض الروايات تسميتها بأم جميل امرأة أبي لهب[٣]؛ قالت له: يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، وفي رواية فقال المشركون: قد وُدِّعَ محمد[٤].

وعليه فالفترة الأولى بعد أول لقاءٍ بجبريل، والثانية بعد الجهر بالدعوة وانتشار خبرها بين أهل مكة.

مجيء جبريل عليه السلام في فترة الوحي.

أشار ابن حجر إلى أن المراد بفترة الوحي بين نزول (اقرأ) و (أيها المدثر) تأخر نزول الوحي فقط، وليس عدم مجيء جبريل إلى النبي ﷺ[٥].

وكأن ابن حجر استنبط ذلك من حديث جابر رضي الله عنه في فترة الوحي وقوله في الحديث: فحمي الوحي وتتابع، قال ابن حجر: " أي: جاء كثيراً، وفيه مطابقة لتعبيره عن تأخره بالفتور إذ لم ينته إلى انقطاع كلي،

---

(١) المصدر السابق.

(٢) سورة الحجر آية (٩٤)، وانظر زاد المعاد لابن القيم (٨٤/١).

(٣) انظر مقدمة الفتح هدي الساري (ص٣١٩)، وفتح الباري (٩/٣، ٧١١/٨).

(٤) أخرجها مسلم في كتاب الجهاد والسير (١٤٢١/٣) برقم (١٧٩٧).

(٥) فتح الباري (٢٧/١).

فيوصف بالضد وهو البرد "[١].

ويشهد لذلك ما ذكره الزهري بلاغاً في فترة الوحي أن النبي ﷺ كلما أوفى بذروة جبل كي يلقي بنفسه تبدى له جبريل، فقال: يا محمد إنك رسول الله حقاً، فيسكن لذلك جأشه، وتقر نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل، فقال له مثل ذلك.

وقد تعقب الصالحي ابن حجر بما جاء عن ابن عباس والزهري أن رسول الله ﷺ لما نزل عليه الوحي بحراء مكث أياماً لا يرى جبريل، فحزن لذلك حزنا شديداً[٢].

غير أن رواية ابن عباس هذه ليست صحيحة، ففيها محمد بن عمر الواقدي (ت٢٠٧) وهو متروك الحديث[٣]، وعلى فرض قبولها فإن الذي يظهر منها أن جبريل انقطع عن إتيان النبي ﷺ، فحزن لذلك، فعاود جبريل التبدي له دون أن يوحي إليه بشيء من القرآن لتطمئن نفسه ويهدأ روعه، وهو ما جاء صريحاً في رواية الزهري السابقة، وكلام ابن حجر سليم من هذه الحيثية.

---

(١) المصدر السابق (٢٨/١).
(٢) سبل الهدى والرشاد (٢/ ٣٦٣).
(٣) انظر عنه: المجروحين لابن حبان (٣٠٣/٢)، وميزان الاعتدال (١٠٨/٥)، وتقريب التهذيب (ص٤٩٨).

المطلب الثاني: انقطاع الوحي لأمر يتعلق بالنبي ﷺ

يختلف هذا المطلب عن سابقه، فالانقطاع هناك في بداية البعثة وبدء نزول القرآن، وابتداؤه من الله رفقاً بالنبي ﷺ، أما الانقطاع هنا فكان بعد حميّ الوحي وتتابعه، وسببه وقوع أمر من النبي ﷺ يتأخر نزول الوحي بسببه، وله صور:

الصورة الأولى: عتاب النبي ﷺ.

ذكر كثير من المفسرين عند قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾[١] أن سبب نزولها عتاب الله تعالى نبيه ﷺ حين سأله المشركون - بإيعاز من اليهود - ثلاثة أسئلة، فقال: أخبركم غداً، ولم يقل: إن شاء الله، فلبث الوحي خمس عشرة ليلة:

قال الطبري: " هذا تأديب من الله عز ذكره لنبيه ﷺ عهد إليه ألا يجزم على ما يحدث من الأمور أنه كائن لا محالة، إلا أن يصله بمشيئة الله، لأنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله، وإنما قيل له ذلك فيما بلغنا من أجل أنه وعد سائليه عن المسائل الثلاث اللواتي قد ذكرناها فيما مضى........ فاحتبس الوحي عنه فيما قيل من أجل ذلك خمس عشرة، حتى حزنه إبطاؤه، ثم أنزل الله عليه الجواب عنهن، وعرف نبيه سبب احتباس الوحي عنه، وعلمه ما الذي ينبغي أن يستعمل في عداته، وخبره عما يحدث من الأمور التي لم يأته من الله بها تنزيل"[٢].

---

(١) سورة الكهف (٢٣-٢٤).

(٢) جامع البيان (١٥/٢٢٣-٢٢٤).

وقال ابن عطية (ت٥٤١): " عاتب الله تعالى فيها نبيه ﷺ على قوله للكفار: غداً أخبركم بجواب أسئلتكم، ولم يستثن في ذلك، فاحتبس عنه الوحي خمسة عشر يوماً حتى شق ذلك عليه، وأرجف الكفار به، فنزلت عليه هذه السورة مفرجة "(١).

ومستندهم في ذلك ما رواه ابن إسحاق بسنده عن ابن عباس أن قريشاً بعثت نفراً إلى أحبار يهود بالمدينة بشأن النبي ﷺ، فقالت لهم أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول، فروا فيه رأيكم: سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، ما كان من أمرهم؟، فإنه قد كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طواف، بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟، وسلوه عن الروح ما هو؟، فإن أخبركم بذلك ، فإنه نبي فاتبعوه، وإن هو لم يخبركم، فهو رجل متقول، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم، فجاءوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد أخبرنا، فسألوه عما أمروهم به، فقال لهم رسول الله ﷺ: " **أخبركم غداً بما سألتم عنه** "، ولم يستثن فانصرفوا عنه، **فمكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة، لا يحدث الله إليه في ذلك وحياً، ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام، حتى أرجف أهل مكة، وقالوا: وعدنا محمد غداً، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه**، وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبرائيل عليه السلام من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف

(١) المحرر الوجيز (٥/٥٩٠)، وانظر: معالم التتريل (٥/١٦٢)، وزاد المسير (٥/١٢٧)، وتفسير الرازي (٧/٤٥٠)، والجامع لأحكام القرآن (٥/٤٠٠٢)، وتفسير ابن كثير (٥/١٤٥)، وفتح القدير (٣/٢٧٨)، وروح المعاني (١٥/٢٤٧)، والتحرير والتنوير (١٥/٢٩٥).

فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف[(١)].

وقد نقل الثعلبي (ت٤٢٧) والبغوي (ت٥١٦) عن المفسرين أن الوحي احتبس هنا، فقال المشركون: إن محمداً ودعه ربه وقلاه، فأنزل الله تعالى سورة الضحى[(٢)].

وهذا القول ليس له سند صحيح، وهو يعارض ما تقدم من حديث جندب ﷺ الصحيح في سبب نزول سورة الضحى، قال ابن حجر: " ذكر سورة الضحى هنا بعيد، لكن يجوز أن يكون الزمان في القصتين متقارباً، فضم بعض الرواة إحدى القصتين إلى الأخرى، وكل منهما لم يكن في ابتداء البعث، وإنما كان بعد ذلك بمدة، والله أعلم "[(٣)].

الصورة الثانية: وجود مانع في بيت النبي ﷺ.

عن بريدة ﷺ قال: احتبس جبريل عليه السلام على النبي ﷺ، فقال له: ما حبسك ؟!، قال: إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب[(٤)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: واعد رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام في ساعة

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٤٣/١٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢٦٩/٢) عن ابن إسحاق، وفيه رجل مجهول، وهو في سيرة ابن هشام (٣٠٠/١)، ولبعض هذا الحديث شواهد في: صحيح البخاري (٢٢٨/٥)، ومسند أحمد (٢٥٥/١) وسنن الترمذي (٢٩٢/٨).

(٢) الكشف والبيان (٢٢٢/١٠)، ومعالم التنزيل (٤٥٣/٨)، وعزاه ابن حجر في فتح الباري (٧١٠/٨) لسيرة ابن إسحاق، ولم أجده في سيرة ابن هشام، ولا في المطبوع من سيرة ابن إسحاق.

(٣) فتح الباري (٧١٠/٨).

(٤) رواه أحمد في المسند (٣٥٣/٥)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٥/٤): رجاله رجال الصحيح.

يأتيه فيها، فجاءت تلك الساعة و لم يأته، وفي يده عصا، فألقاها من يده، وقال: «ما يخلف الله وعده ولا رسله»، ثم التفت فإذا جرو كلب تحت سريره، فقال: «**يا عائشة، متى دخل هذا الكلب هاهنا؟!**» فقالت: والله، ما دريت!، فأمر به فأخرج، فجاء جبريل، فقال رسول الله ﷺ: «**واعدتني فجلست لك فلم تأت!**»، فقال: **منعني الكلب الذي كان في بيتك، إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة**(١).

وعن ميمونة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أصبح يوماً واجماً ، فقلتُ: يا رسول الله ، لقد استنكرت هيئتك منذ اليوم ، فقال: " **إن جبريل كان وعدني أن يلقاني الليلة فلم يلقني، أما والله ما أخلفني** " ، قال: فظل رسول الله ﷺ يومه ذلك على ذلك ، ثم وقع في نفسه جرو كلب تحت فسطاط لنا ، فأمر به فأخرج ، ثم أخذ بيده ماء فنضح مكانه ، فلما أمسى لقيه جبريل ، فقال له: " **قد كنت وعدتني أن تلقاني البارحة** " ، قال: أجل ؛ ولكنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة، فأصبح رسول الله ﷺ يومئذ فأمر بقتل الكلاب ، حتى إنه يأمر بقتل كلب الحائط الصغير ، ويترك كلب الحائط الكبير(٢).

قال النووي: " قال العلماء: سبب امتناعهم من بيت فيه كلب لكثرة أكله النجاسات، ولأن بعضها يسمى شيطاناً كما جاء به الحديث، والملائكة ضد الشياطين، ولقبح رائحة الكلب، والملائكة تكره الرائحة القبيحة، ولأنها منهي عن اتخاذها؛ فعوقب متخذها بحرمانه دخول الملائكة بيته، وصلاتها فيه، واستغفارها له، وتبريكها عليه وفي بيته، ودفعها أذى

---

(١) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة (٣/١٦٦٤) برقم (٢١٠٤).

(٢) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة (٣/١٦٦٤) برقم (٢١٠٥).

للشيطان "[١].

واحتباس جبريل عن النبي ﷺ هنا كان قصيراً فلم يعدُ يوماً واحداً، فلما زال السبب وهو وجود الكلب لقي النبي ﷺ، وأيضاً فهذا الاحتباس ليس خاصاً بجبريل بل هو عام للملائكة جميعاً، وقد جاء في الحديث: «**لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة** "[٢].

ومن لوازم احتباس جبريل عن النبي ﷺ احتباس الوحي لأن جبريل واسطته.

الصورة الثالثة: انقطاع الوحي بسبب مرض النبي ﷺ، وتقدم حديث جندب رضي الله عنه أن النبي ﷺ اشتكى فلم يقم ليلة، أو ليلتين، أو ثلاثاً، فجاءت امرأة، فقالت: يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾.

وهذا الانقطاع وقع للنبي ﷺ في أوائل البعثة، وسببه مرض النبي ﷺ فاحتبس الوحي عنه أياماً رفقاً به وكي تستجم نفسه، فأرجف المشركون بسبب ذلك وقد تقدم الكلام عليه.

(١) شرح النووي على مسلم (٨٤/١٤)، وانظر فتح الباري (٣٨١/١٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم (١٠١/٤) برقم (٣٣٢٢)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة (١٦٦٥/٣) برقم (٢١٠٦) من حديث أبي طلحة رضي الله عنه.

المطلب الثالث: انقطاع الوحي لأمر يتعلق بالصحابة

قد يكون احتباس جبريل عليه السلام عن النبي ﷺ لعارض يتعلق بأصحابه، فعن ابن عباس عن النبي ﷺ أن جبرائيل أبطأ عليه، فذكر له ذلك، فقال: " **ولم لا يبطئ عني وأنتم حولي لا تستنون، ولا تقلمون أظفاركم، ولا تقصون شواربكم، ولا تنقون رواجبكم ؟!** "[1].

وإبطاء جبريل عن النبي ﷺ بسبب عدم أخذ بعض الصحابة بأسباب الطهارة والنظافة والرائحة الطيبة من الاستياك وتقليم الأظفار وقص الشوارب وإنقاء الرواجب، وهي ما بين عقد الأصابع من داخل، واحدها راجبة[2].

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/٢٤٣) ، والطبراني في المعجم الكبير (١١/٣٤١) ، وحسن إسناده أحمد شاكر في تحقيق المسند (٤/٣٢) ، لكن في إسناده أبو كعب لا يعرف ، وثعلبة بن مسلم الخثعمي لم يوثقه غير ابن حبان، قال ابن حجر: مستور ، انظر: تهذيب التهذيب (١/٢٧٣) ، وتقريب التهذيب (ص١٣٤) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/١٦٧): " فيه أبو كعب مولى ابن عباس، قال أبو حاتم: لا يعرف إلا في هذا الحديث ، ورواه الطبراني ورجاله ثقات " ، وللحديث شاهد عن مجاهد مرسلاً، عزاه في الدر المنثور (٤/٢٧٩) إلى ابن أبي حاتم وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر، وفي معناه الأحاديث الآمرة باجتناب ما تتأذى منه الملائكة.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/١٩٧).

المطلب الرابع: تأخر نزول الوحي على النبي ﷺ في بيان بعض الوقائع

الأصل في الحادثة أنها إذا وقعت لم يمض قت إلا ويـتزل الـوحي ببيانها، ولذلك يأتي في روايات أسباب الترول التعقيب بالفاء؛ فترلت، أو فترل ونحوهما المشعرة بالتعقيب المباشر دون تراخٍ، وأحياناً يأتي التنصيص بالترول المباشر بعد الحادثة، ومن أمثلته:

١ -قصة خولة مع زوجها أوس بن الصامت فإن الوحي نزل علـى النبي ﷺ في نفس المجلس، فعن عائشة قالت: تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفى علي بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ، وهي تقول: يا رسول الله، أكل شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كَبِرَتْ سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك!، قالت: **فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية:** ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[1].

٢ -وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه: أن رجلاً من المنافقين قال لعـوف ابن مالك في غزوة تبوك: ما لقرائنا هؤلاء أرغبنا بطوناً وأكذبنا ألسـنة وأجبننا عند اللقاء، فقال له عوف: كذبت، ولكنك منـافق، لأخـبرن رسول الله ﷺ، فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره، **فوجد القرآن قد سبقه**، قال عبد الله بن عمر: فنظرت إليه متعلقاً بحقب ناقة رسـول الله ﷺ، تنكبه الحجارة، يقول: إنما كنا نخوض ونلعب، فيقول له الـنبي ﷺ:

(١) رواه أبو داود (٢/٢٦٧) برقم (٢٢٢٠)، والنسائي في سننه (٦/١٦٨) برقم (٣٤٦٠)، وابن ماجه (١/٦٦٦) برقم (٢٠٦٣)، واللفظ له، وأحمد في المسـند (٦/٤٦)، ورواه البخاري معلقاً مختصراً في كتاب التوحيد، باب وكان الله سميعاً بصيراً (٨/١٦٧) بـرقم (٨/١٦٧).

﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ ما يزيده[1].

وقد تقع بعض الحوادث التي تحتاج إلى بيان ويتأخر نزول الوحي بشأنها مع رغبة النبي ﷺ وأصحابه وترقبهم وتلهفهم لنزول الوحي بشأنها حتى إنهم ليستبطئون نزول الوحي، ومن أمثلته:

١ – حديث عائشة رضي الله عنها في الإفك، قالت: فقدمتُ المدينة، فاشتكيت حين قدمنا شهراً، والناس يُفيضُون في قول أهل الإفك، وفيه: أن النبي ﷺ دعا علياً وأسامة بن زيد حين استلبث الوحيُ، يستشيرهما في فراق أهله، ولا أشعر بشيء من ذلك، وفي بعض الروايات: وقد مكث

(١) رواه ابن جرير في جامع البيان (٥٤٣/١١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٢٩/٦).
ومن أمثلته في غير القرآن:
حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ ، وهو يخطب على المنبر فقال: أرأيت إن قاتلت في سبيل الله صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر أيكفر الله عني سيئاتي؟، قال: نعم، ثم سكت ساعة، قال: أين السائل آنفاً؟، فقال الرجل: ها أنا ذا، قال: ما قلت؟، قال: أرأيت إن قتلت في سبيل الله صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر؛ أيكفر الله عني سيئاتي؟، قال: " **نعم إلا الدين سارني به جبريل آنفاً** "، رواه النسائي في سننه (٣٣/٦-٣٤)، ورواه أحمد في المسند (١٣٩/٤-١٤٠) من حديث عبدالله بن جحش رضي الله عنه، وهو بنحوه عند مسلم في كتاب الإمارة (١٥٠١/٣) برقم (١٨٨٥) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.
وحديث أنس رضي الله عنه قال: سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله ﷺ، وهو في أرض يخترف، فأتى النبي ﷺ، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: فما أول أشراط الساعة؟، وما أول طعام أهل الجنة؟، وما يترع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟، قال: **أخبرني بهن جبريل آنفاً**، قال: جبريل؟!، قال: نعم، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾ ... الحديث؛ أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب التفسير باب قوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبۡرِيلَ﴾ (١٤٨/٥) برقم (٤٤٨٠).

شهراً لا يُوحى إليه في شأني شيء[١].

٢ – توبة الله تعالى على الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك، وقد جاء التصريح بأن النبي ﷺ أرجأ أمرهم وتوبتهم إلى الله، ففي حديث كعب بن مالك حين اعتذر إلى النبي ﷺ أنه قال: أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك .... إلى أن قال: فلبثت بعد ذلك عشر ليال، حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا ...... إلى أن قال: وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال الله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾[٢].

ويستفاد مما سبق أنه لا يلزم من تأخر الوحي في بيان بعض القضايا الخاصة عدم نزوله لبيان قضايا أخرى، وقد قالت عائشة رضي الله عنها: وقد لبث شهراً لا يوحى إليه **في شأني شيء**، ومثله تأخير الله تعالى التوبة على كعب بن مالك وصاحبيه، والله أعلم.

٣ –لما قدم النبي ﷺ المدينة أمر باستقبال بيت المقدس، وقد مكث على ذلك سبعة عشر شهراً، وكان يتطلع إلى تحويل القبلة إلى الكعبة ويقلب وجهه في السماء لعل الوحي يترل عليه، وكانت رغبته في ذلك

(١) أخرجه البخاري بطوله في مواضع من صحيحه، منها: كتاب التفسير، باب ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ (٦/٥) برقم (٤٧٥٠)، وأخرجه مسلم في كتاب التوبة (٤/٢١٢٩) برقم (٢٧٧٠)، وستأتي مقتطفات من الحديث، وفي فتح الباري (٨/٤٧٥): " حكى السهيلي أن بعض المفسرين ذكر أن المدة كانت سبعة وثلاثين يوماً، فألغى الكسر في هذه الرواية، وعند ابن حزم أن المدة كانت خمسين يوماً أو أزيد، ويجمع بأنها المدة التي كانت بين قدومهم المدينة ونزول القرآن في قصة الإفك، وأما التقييد بالشهر، فهو المدة التي أولها إتيان عائشة إلى بيت أبويها حين بلغها الخبر ".

(٢) سورة التوبة من الآية (١١٨)، والحديث أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك (٥/١٣٠-١٣٥) برقم (٤٤١٨).

ملحة لما يثيره اليهود بشأن استقبال النبي ﷺ قبلتهم وكانوا يقولون: يخالفنا محمد ﷺ في ديننا ويتبع قبلتنا[1]، ومع هذه الإثارة والتشكيك من اليهود وتطلع النبي ﷺ لتحويل القبلة فإن الوحي لم يترل عليه، بل مكث فترة حتى نزل قول الله تعالى: ﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ ﴾[2].

فعن البراء بن عازب ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يوجه إلى الكعبة، فأنزل الله: ﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ ﴾، فتوجه نحو الكعبة، وقال السفهاء من الناس، وهم اليهود: ﴿مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ فصلى مع النبي ﷺ رجل، ثم خرج بعدما صلى، فمر على قوم من الأنصار في صلاة العصر نحو بيت المقدس، فقال: هو يشهد أنه صلى مع رسول الله ﷺ وأنه توجه نحو الكعبة، فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة[3].

ونحن إن استطعنا الجزم بأن النبي ﷺ مكث ستة عشر أو سبعة عشر شهراً يصلي إلى بيت المقدس قبل أن يتوجه إلى الكعبة بحسب هذه الرواية الصحيحة، فإنه لا يمكن الجزم بأن هذه المدة كلها تأخر فيها نزول الوحي عن النبي ﷺ مع تطلعه إليه، فليس في الروايات ما يفيد أنه ﷺ من حين أُمر باستقبال بيت المقدس كان يتحرى الأمر بالتوجه إلى الكعبة ويتطلع له، لكنّ مدلول الآية يفيد بأنه ﷺ بقي فترة – لا نعلم متى بدأت؟، وكم

(١) جامع البيان (٢/٦٥٧).

(٢) سورة البقرة من الآية (١٤٤).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصلاة باب التوجه نحو القبلة (١/١٠٤) برقم (٣٩٩).

بقيت؟ - يتحرى التحول عن بيت المقدس إلى الكعبة، فلفظ التقلُّب في الآية يدل على تكرر نظر النبي ﷺ إلى السماء وكثرته، قال أبو حيان (ت٧٤٥): " وإنما فهمت الكثرة من متعلق الرؤية، وهو التقلُّب، لأن من رفع بصره إلى السماء مرة واحدة، لا يقال فيه: قلّب بصره في السماء، وإنما يقال: قلب إذا ردّد "[١].

---

(١) البحر المحيط (٦٠٢/١)، وانظر تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص٧١)، وجاء في بعض أسباب النزول عن ابن عباس: أن النبي ﷺ كان يدعو الله وينظر إلى السماء، جامع البيان (٦٥٨/٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢٥٣/١).

المبحث الثاني: آثار انقطاع الوحي

بعث الله تعالى نبيه محمداً ﷺ ابتلاءً للخلق، كما جاء في الحديث القدسي أن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: " **إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرؤه نائماً ويقظان** "[1].

ومن الإشارات اللطيفة في هذا الحديث اقتران الابتلاء بإنزال القرآن الكريم، ومصداقه حديث عمر رضي الله عنه: " **إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين** "[2].

ومن جملة الابتلاء الذي ابتلي به النبي ﷺ وأمته في القرآن الكريم كيفية نزوله وانقطاعه عن النبي ﷺ بعض الفترات واحتباسه في وقت تشتد الحاجة إليه، وما ذاك إلا لحكمٍ وغاياتٍ يريد الله تعالى إظهارها للناس؛ يميز بها الخبيث من الطيب والصادق من الكاذب، ويرفع بها أقواماً ويضع بها آخرين، ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[3].

وقد كان لانقطاع الوحي باختلاف أحواله وصوره آثاره الظاهرة في المؤمنين والكافرين لكنها تختلف باختلاف متعلقها، فآثار فترة الوحي في أوائل البعثة ظهرت بصورة أكبر على النبي ﷺ، وآثار احتباس الوحي في حادثة الإفك ظهرت بصورة أكبر على الصحابة.

ولعلنا نستجلي تلك الحكم والثمرات من خلال المطالب الآتية:

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها (٢١٩٧/٤) برقم (٢٨٦٥) من حديث عياض ابن حمار رضي الله عنه.

(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٥٥٩/١) برقم (٨١٧).

(٣) سورة البقرة من الآية (٢٦).

المطلب الأول: أثر انقطاع الوحي في النبي ﷺ

ومن تلك الآثار:

أولاً: التهيئة والإعداد.

فقد كان النبي ﷺ بحاجة إلى التهيئة في بدء نزول الوحي، وكان لفترة الوحي أثر في ذلك من خلال الآتي:

١ – الرفق بالنبي ﷺ والتخفيف عليه والتدرج في نزول الوحي كي تستجم نفسه وتعتاد قوته تحمل أعباء الوحي، فالوحي له أعباء وثقل كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[(١)] ، وفي حديث عائشة: ولقد رأيته يترل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً[(٢)].

وفي حديث الحارث بن هشام أن النبي ﷺ قال: " **أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال**"[(٣)].

وحدث النبي ﷺ عن أول لقائه بجبريل، وأن الملك أخذه فغطه حتى بلغ منه الجهد ثلاث مرات، وإذا كان الوحي بهذه المثابة فتتابعه على النبي ﷺ يشق عليه، ومن التخفيف عليه في أول نزوله عليه انقطاعه عنه لتثبيته وتقوية نفسه على احتمال ما يتوالى عليه منه حتى تتم به حكمة الله في إرساله إلى الخلق[(٤)].

---

(١) سورة المزمل آية (٥).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي (٢/١) برقم (٢).

(٤) مناهل العرفان (٢١٦/١).

وهذا يشبه إلى حد كبير ما ذكره الله تعالى في بيان حكمة نــزول القرآن منجماً، ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾[1].

٢ -ومن التهيئة والإعداد إزالة الخوف من قلب النبي ﷺ، فإنه حين اللقاء الأول بجبريل ارتاع ورجع ترجف بوادره[2]، ودخل على خديجـــة رضي الله عنها خائفاً وهو يقول: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، وقال لخديجة: " **لقد خشيت على نفسي** "، قال ابن حجر معللاً فتـــرة الوحي: " وكان ذلك ليذهب ما كان ﷺ وجده من الروع وليحصل له التشوف إلى العود"[3].

ولا يتعجب من الجزع الذي وقع للنبي ﷺ لأن الملك جاءه فجـــأة كما جاء صريحاً في حديث عائشة، وكان مجيئه مخالفاً للمـــألوف، فنفـــر طبعه البشري منه وهاله ذلك، ولم يتمكن من التأمل في تلك الحال؛ لأن النبوة لا تزيل طباع البشرية كلها، فلا عجب أن يجزع مما لم يألفه وينفر طبعه منه[4].

فهذا الخوف من النبي ﷺ يعد خوفاً طبيعياً وقع مع أول الوحي، وقد وقع لموسى عليه السلام مثل ذلك: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾[5].

٣ -ومن التهيئة والإعداد أن فتور الوحي وتأخر مجيئه يدفع النبي ﷺ

---

(١) سورة الفرقان آية (٣٢).

(٢) البوادر جمع بادرة، وهي اللحمة التي بين المنكب والعنق تضطرب عند فزع الإنسان، فتح الباري (٢٨/١).

(٣) فتح الباري (٢٧/١).

(٤) فتح الباري (٣٦٠/١٢).

(٥) سورة النمل من الآية (١٠).

إلى التطلع إليه والتشوف إلى لقاء جبريل فإذا جاءه كان عند النبي ﷺ استعداد وتطلع لذلك، فيكون أدعى لتقبل ما يوحى إليه، وقد أشار ابن حجر إلى هذه العلة قبل قليل، وفي حديث جابر وقول النبي ﷺ: "**جاورت بحراء شهراً** " ما يؤيد ذلك إذا اعتبرنا هذه المجاورة في مدة فترة الوحي وأن جبريل عاد إليه بعد انقضاء جواره[١]، فيكون رجوع النبي ﷺ للمجاورة وغار حراء تلهفاً وتشوفاً لرجوع جبريل الذي فتر مجيئه، ويشهد له ما رواه الزهري –بلاغاً– وأن النبي ﷺ حزن لفترة الوحي حزناً شديداً، فإذا تبدى له جبريل سكن لذلك جأشه وقرت نفسه.

ثانياً: بيان صدق النبي ﷺ.

لقي النبي ﷺ ما لقي الأنبياء قبله من التكذيب والطعن في صدقهم ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾[٢] ، وقد أيد الله تعالى نبيه ﷺ بدلائل كثيرة تدل على صدقه، ومن تلك الدلائل انقطاع الوحي بأحواله وصوره المختلفة، وبيان ذلك من وجوه:

١ – كان لفترة الوحي الأولى أثر في طمأنة النبي ﷺ وزيادة يقينه بأن ما وقع له في غار حراء إنما هو وحي من رب العالمين، وأن الذي أوحى إليه صدر سورة العلق إنما هو جبريل إيذاناً بفجر نبوته ومبدأ بعثته، وليس ما وقع له طائف من الشيطان أو مس من الجن، وقد خشي ﷺ ذلك أول الأمر، وقال: " **أخشى أن يكون بي جنن** "[٣]، ولو كان ما

---

(١) انظر فتح الباري (٦٧٨/٨).

(٢) سورة فاطر آية (٤).

(٣) رواه أحمد في المسند (٣١٢/١)، والطبراني في الكبير (١٥/٢٣-١٦)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٥/٨): " رواه أحمد متصلاً ومرسلاً، والطبراني بنحوه، ورجال أحمد رجال الصحيح ".

يأتيه من الجن لما توقف هذه الفترة الطويلة، فهي رسالة طمأنينة من ربه ليعلم أنه رسول من الله حقاً.

٢ - بيان أن الذي تنزل بالوحي والقرآن على النبي ﷺ هو جبريل عليه السلام على الحقيقة، وأن ما يأتي به ليس مجرد أحاديث نفسية فاضت بها نفسه نتيجة العزلة والتأمل والتفكر، فتكلم بها وحدث بها الناس، وهذه الشبهة أثارها المستشرقون حول الوحي مؤكدين أن الوحي لم يأت من الخارج بواسطة الملك، وإنما هو شيء ذاتي صادر من جهة من جهات نفس النبي[1]، وقال بها الفلاسفة قديماً في تعريفهم للنبوة والوحي[2]، وقد رُد عليهم من وجوه عديدة[3]، ومن أوجه الرد عليهم الاستدلال بفترة الوحي وانقطاعه، فلو كان الوحي كما زعم هؤلاء نتيجة عزلة وتأمل وتفكير طويل ورياضات روحانية لما فتر عنه أول الوحي، ثم عاد إليه بعد مدة ولم يكن منه ﷺ عزلة ولا تفكير[4]، وأيضاً لو كان الوحي نتيجة هذه الأمور لما توقف النبي ﷺ في بيان عديد من الحوادث مع تلهفٍ وترقبٍ شديد منتظراً ما يُوحى إليه من ربه مما يدل على أن الوحي شيء خارج عن نفسه وليس ناتجاً عن تأمل وطول تفكير.

٣ - أخبر النبي ﷺ الناس أنه رسول من رب العالمين يتبع ما يُوحى

(١) انظر: آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره لرضوان (١/٣٨٢-٣٩٤)، وآراء المستشرقين حول مفهوم الوحي لإدريس محمد (ص٥٤-٥٩).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٢/٤٠٢).

(٣) انظر: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة (١/٢٧١)، وآراء المستشرقين حول مفهوم الوحي (ص٥٩).

(٤) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة (١/٢٧٣).

إليه ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾[1]، وقد جاءت فترات الوحي وانقطاعه لتؤكد صدق النبي ﷺ وأنه لا يملك من أمر الوحي شيئاً، وليس من تلقاء نفسه، فالحوادث تقع ويحتاج النبي ﷺ إلى بيانها ويتطلع لذلك فيتأخر نزول الوحي، ولا يملك النبي ﷺ إلا التسليم ولسان حاله: ﴿ **قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾[2].

" وقد أرجف المنافقون بحديث الإفك عن زوجه عائشة رضي الله عنها وأبطأ الوحي؟!، وطال الأمر والناس يخوضون، حتى بلغت القلوب الحناجر، وهو لا يستطيع إلا أن يقول بكل تحفظ واحتراس: " **إني لا أعلم عنها إلا خيرًا** "، ثم إنه بعد أن بذل جهده في التحري والسؤال واستشارة الأصحاب، ومضى شهر بأكمله والكل يقولون: ما علمنا عليها من سوء، لم يزد على أن قال لها آخر الأمر: "**يا عائشة؛ أما إنه بلغني كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله** "، هذا كلامه بوحي ضميره، وهو كما نرى كلام البشر الذي لا يعلم الغيب، وكلام الصديق المتثبت الذي لا يتبع الظن، ولا يقول ما ليس له به علم، على أنه لم يغادر مكانه بعد أن قال هذه الكلمات حتى نزل صدر سورة النور معلنًا براءتها، ومصدرًا الحكم المبرم بشرفها وطهارتها، فماذا كان يمنعه – لو أن أمر القرآن إليه – أن يتقول هذه الكلمة الحاسمة من قبل ليحمي بها عرضه ويذب بها عن عرينه،

---

(١) سورة الكهف من الآية (١١٠).

(٢) سورة يونس آية (١٦).

وينسبها إلى الوحي السماوي لتنقطع ألسنة المتخرصين؟!! "[١].

ثالثاً: عتاب النبي ﷺ.

وقد وقع العتاب للنبي ﷺ رغبة في الارتقاء به إلى أعلى الدرجات وأسمى الكمالات، فلم يكن الله تعالى ليرضى لنبيه ﷺ إلا أعلى الدرجات وأرفع المقامات، ولما لم يرد المشيئة إليه سبحانه في الإخبار بالمغيبات، عاتبه و لم يتزل عليه جبريل عليه السلام خمس عشرة ليلة.

رابعاً: تأكيد بشرية النبي ﷺ.

فاستدعاء الوحي أو رده ليس إلى النبي ﷺ، وإنما هو كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾[٢] ، وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: "ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ "، فترلت: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ﴾[٣] .

خامساً: عناية الله تعالى بنبيه ﷺ:

ذكر ابن القيم (ت٧٥١) في فوائد احتباس الوحي في حادثة الإفك أن الله تعالى " تولى بنفسه الدفاع والمنافحة عنه، والرد على أعدائه وذمهم وعيبهم بأمر لا يكون له فيه عمل، ولا ينسب إليه، بل يكون هو وحده المتولي لذلك؛ الثائر لرسوله وأهل بيته "[٤].

---

(١) النبأ العظيم (ص٢٤) باختصار يسير.

(٢) سورة الكهف من الآية (١١٠).

(٣) سورة مريم آية (٦٤)، والحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ﴾ (٢٣٧/٥) برقم (٤٧٣١).

(٤) زاد المعاد (٢٣٥/٣).

المطلب الثاني: أثر انقطاع الوحي في المؤمنين

تجلت آثار احتباس الوحي في الصحابة في حادثة الإفك ، فقد كان وقع الحادثة شديداً على الصحابة، وبخاصة بيت أبي بكر الصديق ﷺ ، فقد احتبس الوحي عن النبي ﷺ شهراً كاملاً ، واشتد الكرب ببيت أبي بكر ، وقد وصفت عائشة ﵂ حالهم أتم وصف ، ففي بيان حالها حين علمت ما رميت به تقول: " فبت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم إلى أن تقول: وقد بكيت ليلتين ويوماً حتى أظن أن البكاء فالق كبدي ، قالت: فبينا هما جالسان عندي وأنا أبكي ؛ إذ استأذنت امرأة من الأنصار ، فأذنت لها ، فجلست تبكي معي ، فبينا نحن كذلك إذ دخل رسول الله ﷺ ، فجلس و لم يجلس عندي من يوم قيل في ما قيل قبلها ، وقد مكث شهراً لا يُوحى إليه في شأني شيء ، قالت: فتشهد ، ثم قال: " يا عائشة ، فإنه بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة ، فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب ، فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ، ثم تاب تاب الله عليه "، فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته ، قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة ".

ومن وقعها الشديد على الصحابة أن النبي ﷺ قام فيهم خطيباً يستعذر من عبدالله بن أبي بن سلول وقال: " من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي ، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً ، وقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً ، وما كان يدخل على أهلي إلا معي " ، فقام سعد ابن معاذ ، فقال: يا رسول الله ، أنا – والله – أعذرك منه إن كان من الأوس ضربنا عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ، ففعلنا فيه أمرك، فقام سعد بن عبادة – وهو سيد الخزرج – وكان قبل ذلك رجلاً

صالحاً، ولكن احتملته الحمية، فقال: كذبت لعمر الله، لا تقتله، ولا تقدر على ذلك، فقام أسيد بن حضير، فقال: كذبت لعمر الله، والله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فثار الحيان الأوس، والخزرج حتى هموا، ورسول الله ﷺ على المنبر، فنزل، فخفضهم حتى سكتوا.

وقد كان لوقع هذه الحادثة الشديد على المؤمنين واحتباس الوحي شهراً كاملاً آثار وثمرات ما كانت لتحصل لو أن الوحي نزل في بيان الحادثة أول وقوعها، ومن هذه الآثار والثمرات[1]:

١ -ازدياد المؤمنين الصادقين إيماناً وثباتاً على العدل والصدق وحسن الظن بالله ورسوله وأهل بيته والصديقين من عباده، ومن المواقف الإيمانية في حادثة الإفك موقف أبي أيوب الأنصاري ﷺ حين قالت له امرأته أم أيوب: يا أبا أيوب أما تسمع ما يقول الناس في عائشة رضي الله عنها؟، قال: نعم وذلك الكذب، أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب ؟!، قالت: لا والله ما كنت لأفعله!، قال: فعائشة والله خير منك[2]، قال الله تعالى: ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾[3].

٢ – لتتم العبودية المرادة من الصديقة وأبويها وتتم نعمة الله عليهم، وتشتد فاقتهم ورغبتهم وافتقارهم إلى الله ، وذلهم له ، وحسن ظنهم به ورجائهم له ، ولينقطعوا من رجاء المخلوقين ، وييأسوا من حصول النصرة والفرج على يد أحد منهم، وعندما قال النبي ﷺ لعائشة: " يا

(١) هذه الآثار من كلام ابن القيم في زاد المعاد (٣/٢٣٤-٢٣٦).

(٢) جامع البيان (١٧/٢١٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/٢٥٤٦)، وعزاه في الدر المنثور (٥/٣٣) إلى ابن المنذر وابن مردويه.

(٣) سورة النور آية (١٢).

عائشة إنه بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة ، فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب ، فاستغفري الله وتوبي إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ، ثم تاب تاب الله عليه" ، قالت: إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما يتحدث به الناس ، ووقر في أنفسكم وصدقتم به ، ولئن قلت لكم إني بريئة ، والله يعلم إني لبريئة لا تصدقوني بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر ، والله يعلم أني بريئة لتصدقني ، والله ما أجد لي ولكم مثلاً ، إلا أبا يوسف إذ قال: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾[1] ، قال: ثم تحولتُ على فراشي وأنا أرجو أن يبرئني الله.

وقد وفت رضي الله عنها هذا المقام حقه لما قال لها أبواها: قومي إليه، وقد أنزل الله عليه براءتها، فقالت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله هو الذي أنزل براءتي.

٣ -استشراف قلوب المؤمنين أعظم استشراف إلى ما يوحيه الله إلى رسوله فيها وتطلعت إلى ذلك غاية التطلع، فوافى الوحي أحوج ما كان إليه رسول الله ﷺ وأهل بيته والصديق وأهله وأصحابه والمؤمنين، فورد عليهم ورود الغيث على الأرض أحوج ما كانت إليه، فوقع منهم أعظم موقع وألطفه وسروا به أتم السرور وحصل لهم به غاية الهناء، فلو أطلع الله رسوله على حقيقة الحال من أول وهلة، وأنزل الوحي على الفور بذلك لفاتت هذه الحكم وأضعافها بل أضعاف أضعافها.

٤ -إظهار الله منزلته ﷺ وأهل بيته عنده، فإن الله سبحانه أحب أن يظهر منزلة رسوله وأهل بيته عنده وكرامتهم عليه، ولذلك تولى بنفسه الدفاع عنهم والذب عن أعراضهم، ولم تكن عائشة تتوقع أن ينالها هذا

(١) سورة يوسف آية (١٨).

الشرف العظيم، وقالت: والله ما ظننت أن يترل في شأني وحياً، ولأنا أحقر في نفسي من أن يتكلم بالقرآن في أمري، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله.

ومن الآثار التربوية لانقطاع الوحي على المؤمنين تربيتهم على احترام الملائكة وتوقيرهم وإكرامهم واجتناب ما يتأذون منه، أو يمنعهم من القرب من المؤمنين ودخول بيوتهم ؛ مثل: وجود الكلاب والصور في البيوت، أو أكل الثوم والبصل عند الذهاب للمساجد ، وقد مر بنا أن جبريل عليه السلام احتبس عن النبي ﷺ بسبب وجود جرو كلب في بيته، وأخبر أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب أو صورة ، وفي الحديث الذي يُروى في إبطاء جبريل عن النبي ﷺ بسبب تقصير بعض الصحابة في سنن الفطرة، ويشهد له أن النبي ﷺ منع من أكل ثوماً أو بصلاً من قربان المسجد معللاً أن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم ، قال النووي معلقاً على الحديث: " قال العلماء: وفي هذا الحديث دليل على منع من أكل الثوم من دخول المسجد وإن كان خالياً لأنه محل الملائكة "[1].

(١) شرحه على مسلم (٤٩/٥).

المطلب الثالث: أثر انقطاع الوحي في المشركين والمنافقين

أولاً: دحض شبهاتهم ورد كيدهم.

من شأن الكفار استغلال أبسط المواقف لإثارة البلبلة والتشكيك في صدق النبي ﷺ، طمعاً في زعزعة ثبات المؤمنين ورغبة في تشكيكهم في صدق نبيهم من جهة، وصد الناس عن سبيل الله واتباع الحق من جهة أخرى، وعند تأخر الوحي واستبطائه ينبري هؤلاء للتشكيك وإغاظة النبي ﷺ والمؤمنين، وإظهار الشماتة بهم، فحين فتر الوحي عن النبي ﷺ أول البعثة قالت امرأة من المشركين: يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، وفي رواية: فقال المشركون: قد وُدِّعَ محمد.

ثانياً: إظهار نفاق المنافقين.

يتشابه موقف المنافقين مع موقف المشركين حيال انقطاع الوحي وتأخر نزوله ؛ فهم يستغلون تأخره في التشكيك بصدق النبي ﷺ، ويكثر إرجافهم ، وهذا الأمر ليس خاصاً بانقطاع الوحي ، فهم يستغلون أي فرصة تسنح لهم للنيل من النبي ﷺ ودعوته ، وحينما فقد النبي ﷺ ناقته قال زيد بن اللصيت: أليس محمد يزعم أنه نبي ، ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟! ، فقال النبي ﷺ: إن رجلاً قال: هذا محمد يخبركم أنه نبي ، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقته ، وإني والله ما أعلم الا ما علمني الله ، وقد دلني الله عليها ، وهي في هذا الوادي ؛ في شعب كذا وكذا ، قد حبستها شجرة بزمامها ، فذهبوا فجاءوا بها[1] ، وفي غزوة الخندق حين بلغ بالصحابة الخوف وبلغت

(١) سيرة ابن هشام (٢/٥٢٣)، ودلائل النبوة للبيهقي (٤/٥٩، ٥/٢٣٢).

القلوب الحناجر استغل ذلك المنافقون ، وقال أحدهم: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط[1].

وقد ظهر نفاق المنافقين عند تأخر الوحي في بيان بعض الحوادث، فتكلموا بالباطل، وأرجفوا بين المؤمنين، كما حصل في حادثة الإفك حيث زاد إرجافهم في المدينة، ففي حديث عائشة أن النبي ﷺ قام فاستعذر من عبد الله بن أبي بن سلول، فقال وهو على المنبر: "يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي"، فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: أنا أعذرك منه يا رسول الله........

ولو نزل الوحي من أول الأمر ما حصل للمنافقين فرصة في إظهار رجسهم ونفاقهم.

(١) سيرة ابن هشام (٢/٢٢٢)، ودلائل النبوة للبيهقي (٣/٤٣٥).

الخاتمة

ظهر لي من خلال البحث ما يأتي:

أولاً: ابتلاء الأمة المحمدية ببعثة محمد ﷺ، وما تبع ذلك من ابتلائهم بالوحي وطريقة نزوله، وأثره في تمايز الصفوف وظهور الحق من الباطل، فتحقق بذلك الحديث القدسي: " **إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك** "، وعليه فمدار انقطاع الوحي على الابتلاء: ابتلاء المؤمنين والكافرين.

ثانياً: لم يكن انقطاع الوحي باختيار النبي ﷺ، وإنما هو بأمر الله تعالى، فكان الوحي يحتبس عن النبي ﷺ مع تشوفه وحاجته إليه، ويقابل ذلك بالرضا والتسليم.

ثالثاً: رحمة الله تعالى بنبيه ﷺ وعنايته ورفقه به، وعلو قدره عنده، حيث تدرج معه الوحي في أول البعثة، وكان من آثار ذلك تقبل النبي ﷺ وتحمله لأعباء الوحي والقول الثقيل.

رابعاً: تختلف المدد الزمنية لانقطاعات الوحي طولاً وقصراً، وتبين أن القول بأن فترة الوحي الأولى دامت ثلاث سنين أو سنتين ونصفاً قول ضعيف، وترجح أنها أيام، وبعض انقطاعات الوحي لم تعدُ يوماً أو يومين، وقد يطول لبث الوحي في بيان بعض القضايا الخاصة كما في حادثة الإفك وتحويل القبلة.

خامساً: اختلاف حالات انقطاع الوحي عن النبي ﷺ، ففي بعضها ينقطع الوحي وجبريل عليه السلام عن إتيان النبي ﷺ، وفي بعضها ينقطع الوحي لكن لا ينقطع مجيء جبريل إلى النبي ﷺ، وفي حالات أخرى ينقطع الوحي عن بيان وقائع خاصة مع نزوله في بيان غيرها.

سادساً: تبين من خلال عرض آثار انقطاع الوحي أثره الكبير في

النبي ﷺ وأصحابه، وفي الكفار والمنافقين، فكان رحمة وتربية للنبي ﷺ وأصحابه، وفتنة للكافرين والمنافقين.

سابعاً: ينبغي للدعاة الاستفادة من موقف النبي ﷺ حيال احتباس الوحي وانقطاعه، فقد كان ﷺ على جانب كبير من الصبر والأدب مع ربه والخضوع والتسليم لأمره، والداعية قد يتعرض في دعوته إلى الله إلى ضغوط خارجية، وقد تلتبس عليه الأمور فلا يعرف لها وجهاً، فليتذرع بالصبر، وليكثر من اللجأ إلى ربه والاعتماد عليه والانطراح بين يديه.

ثامناً: مرويات انقطاع الوحي بحاجة إلى من يتبنى جمعها ودراستها دراسة متأنية، وبيان صحيحها من ضعيفها، فقد ظهر من خلال البحث أن بعض الآراء مبنية على مرويات تحتاج إلى نقد وتمحيص.

المصادر والمراجع

١. آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، د. عمر رضوان، دار طيبة بالرياض، ط. الأولى، ١٤١٣.

٢. آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي، د. إدريس محمد، بحث مقدم لندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف في المدينة، بتاريخ ١٦-١٨/١٤٢٧.

٣. إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر، لأحمد بن محمد البنا، تحقيق د. شعبان إسماعيل، دار عالم الكتب ببيروت، ومكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة، ط. الأولى، ١٤٠٧.

٤. الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، مطبعة الحلبي بمصر، ط. الرابعة، ١٣٩٨.

٥. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لأحمد بن محمد القسطلاني، دار الطباعة المصرية ببولاق بمصر، ١٢٧٦.

٦. أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار صادر ببيروت، ١٣٩٩.

٧. البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية ببيروت، ط. الأولى، ١٤١٣.

٨. البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر كثير، تحقيق د. عبد الله التركي، دار هجر بالقاهرة، ط. الأولى، ١٤١٧.

٩. التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، نشر الدار التونسية

بتونس، ١٩٨٤م.

١٠. تفسير ابن أبي حاتم؛ أبي محمد عبد الرحمن بن محمد الرازي، تحقيق أسعد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز بمكة، ط. الثالثة، ١٤٢٤.

١١. تفسير عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق د. عبد المعطي قلعجي، دار المعرفة ببيروت، ط. الأولى، ١٤١١.

١٢. التفسير الكبير، لفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي ببيروت، ط. الثالثة، ١٤٢٠.

١٣. تفسير ابن كثير الدمشقي، تحقيق عبد العزيز غنيم وآخرين، دار الشعب بالقاهرة، د.ت.

١٤. تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد بحلب، ط. الأولى، ١٤٠٦.

١٥. تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، عناية إبراهيم الزيبق، وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط. الأولى، ١٤١٦.

١٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن سعدي، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط الأولى، ١٤٢٣.

١٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، دار هجر بالقاهرة، ط. الأولى، ١٤٢٢.

١٨. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، دار الشعب بالقاهرة، د.ت.

١٩. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي دار المعرفة ببيروت، مصورة عن الطبعة الميمنية بمصر عام ١٣١٤.

٢٠. دلائل النبوة، لأحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية ببيروت، ودار الريان بالقاهرة، ط. الأولى، ١٤٠٨.

٢١. روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، لمحمود الآلوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي ببيروت، مصورة عن الطبعة المنيرية.

٢٢. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، لأبي القاسم السهيلي، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الإسلامية بمصر، ١٤١٠.

٢٣. زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج بن الجوزي، المكتب الإسلامي ببيروت، ط. الأولى، ١٣٨٤.

٢٤. زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط. الثالثة، ١٤١٨.

٢٥. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، لمحمد بن يوسف الصالحي، تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، نشر لجنة إحياء التراث الإسلامي، ووزارة الأوقاف بمصر، ١٤١٨.

٢٦. سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق عزت عبيد الدعاس، نشر المكتبة الإسلامية بتركيا، د.ت.

٢٧. سنن ابن ماجه؛ محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية بتركيا، د.ت.

٢٨. سنن النسائي؛ أحمد بن شعيب نشر المكتبة العلمية ببيروت مصورة عن طبعة المطبعة المصرية.

٢٩. السيرة النبوية، لمحمد بن إسحاق، تحقيق أحمد المزيدي، دار الكتب العلمية ببيروت، ط. الأولى، ١٤٢٤.

٣٠. السيرة النبوية، لابن هشام الأنصاري، تحقيق مصطفى السقا وزميليه، نشر مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط. الثانية، ١٣٧٥.

٣١. السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شهبة، دار القلم بدمشق، ط. الثانية، ١٤١٢.

٣٢. شرح صحيح مسلم، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، المطبعة المصرية ومكتباتها بالقاهرة، د.ت.

٣٣. شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق د. عبدالله التركي، وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط. الأولى، ١٤٠٨.

٣٤. صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المكتبة الإسلامية بتركيا، نشر عام ١٩٧٩م

٣٥. صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية بتركيا، مصورة عن ط. الأولى، ١٣٨٤.

٣٦. الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد، دار التحرير بالقاهرة، ١٣٨٨.
٣٧. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، أشرف على طبعه محب الدين الخطيب، الطبعة السلفية بالقاهرة، ١٣٨٠.
٣٨. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط. الثانية، ١٣٨٣.
٣٩. القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط. الثانية ١٤٠٧.
٤٠. الكشف والبيان، لأبي إسحاق الثعلبي، تحقيق أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. الأولى ١٤٢٢.
٤١. لسان العرب، لأبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور، تحقيق عبد الله علي الكبير وزميليه، دار المعارف بمصر، د.ت.
٤٢. مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة المعارف بالرياض، ط. الأولى، ١٤١٣.
٤٣. المجروحين من المحدثين، لأبي حاتم محمد حبان البستي، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، دار الصميعي بالرياض، ط. الأولى، ١٤٢٠.
٤٤. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب العربي ببيروت، ط. الثالثة، ١٤٠٢.
٤٥. مجموع الفتاوى ، لابن تيمية ، جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه

محمد ، نشر مجمع الملك فهد لطابعة المصحف الشريف بالمدينة، ١٤١٦.

٤٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق الرحالة الفاروق وآخرين، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، ط. الثانية، ١٤٢٨.

٤٧. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن سلطان محمد القاري، تحقيق جمال عيتاني، دار الكتب العلمية ببيروت، ط. الأولى، ١٤٢٢.

٤٨. المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم، دار الكتاب العربي ببيروت، مصورة عن الطبعة الهندية، ١٣٣٥.

٤٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، نشر دار سحنون بتونس، الطبعة الثانية، مصورة عن الطبعة الميمنية بمصر عام ١٣١٣، وطبعة دار المعارف بمصر بتحقيق أحمد شاكر، ط. الثانية.

٥٠. معالم التنزيل، لمحيي السنة الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق محمد عبد الله النمر وزميليه، دار طيبة بالرياض، ١٤٠٩.

٥١. المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، ط. الثانية، ١٤٢٢.

٥٢. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس الرازي، تحقيق د. محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي ببيروت، ط. الأولى،

١٤٢٢.

٥٣. مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان داوودي، دار القلم بدمشق، والدار الشامية ببيروت، ط. الثانية، ١٤١٨.

٥٤. مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد لعظيم الزرقاني، دار إحياء الكتب العربية بمصر، د.ت.

٥٥. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، د.ت.

٥٦. النبأ العظيم: د. محمد دراز، دار القلم بالكويت، ط. الثانية، ١٣٩٠.

٥٧. النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات بن الأثير الجزري، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، دار إحياء التراث العربي ببيروت، د.ت.